

متخيّل المدينة وهولوكوست الهوية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي  
*The imaginary of the city and the Holocaust of identity in the poem  
"In Jerusalem" by Tamim Barghouti*

1\* وهيبة جراح

المركز الجامعي ميلّة الجزائر

Wahibadjerrah6@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/08 تاريخ القبول: 2022/01/08 تاريخ النشر: 2023/12/26

### الملخّص:

يستتق هذا المقال أهمّ الخطوات الفنيّة التي اعتمدها الذات في رحلة بحثها عن الهوية المفقودة في قصيدة " في القدس" لتميم البرغوثي"، عبر التركيز على تحليل المشاهد واللوحات الفنيّة التي رسمها لنا الشاعر بالكلمات وبالاعتماد على استراتيجيات وصفية تضع القارئ في قلب المدينة وتجعله يتساءل عن وضع الهوية المفقودة.

الكلمات المفتاح: الهولوكوست<sup>1</sup>، الهوية، المتخيّل، المدينة، الرمزية،...

### Summary:

*This article discusses the most important artistic steps that the self adopted in its search for the lost identity in the poem "In Jerusalem" by Tamim Al-Barghouti, focusing on the analysis of the scenes and paintings that the poet has drawn us with words and relying on descriptive strategies that place the reader in the heart of the city and make them wonder about the Lost Identity situation.*

**Keywords:** Holocaust, Identity, Imagined, City, Symbolism, ...

\*المؤلف المرسل

## وهيبة جراح

### توطئة:

بين واقع يشهد حالات التيه والضياع الهوياتي والتغريب والانكسار والعدمية، وصورة مُثلى لمدينة سعى مخيال الشاعر إلى نسجها، ينبثق متخيّل المدينة كما أرادها الشاعر أن تكون، وتتبثق القصيدة حينها لتعبّر عن التضارب والصراع بين واقع مرير مدّس، ومدينة متخيّلة مقدّسة.

تصوّر لنا قصيدة "في القدس" بعض المشاهد التي أصبحت تشوّه صورة المدينة وتخرجها عن أصلها وتعمل على تمزيق هويّتها وتهشيمها، عبر رصد مجموعة من مظاهر استيطان الآخر وهيمنته بشكل جعله يشكّل محرقةً للكينونة والهوية والتاريخ. في هذه المرحلة من البحث سنتحدّث عن "واقع المدينة والاستلاب الهوياتي" وسنسلط الضوء على استراتيجية أساسية اعتمدها الشاعر في رصد واقع المدينة وهو "التصوير" الذي عبره سنقف على بعض المشاهد الديستوبية التي وسمت صورة المدينة.

وسنبيّن الكيفيّة التي سعت بها القصيدة في هذه المرحلة لتجسيد الهولوكوست عبر جغرافيّة الأمكنة التي لم تعد تحتفظ بذاكرتها وخرائطها القديمة بل شنتها الصوت الإمبراطوري لتدخل في مرحلة اللامدينة والتشتت المكاني الذي يعدّ أكبر محرقة للهوية.

وكصورة مضادة للأولى، وكرّد فعل لفعل الهيمنة والتهميش والاستلاب، سنعمل على تتبّع الطريقة التي نحت بها الشاعر بمخيله صورة أخرى لقدس تآبى أن تتنازل عن هويتها، تآبى الانصياع للآخر والذوبان فيه، الأمر الذي جعل الشاعر يعود إلى التاريخ العتيق كمرجع أساسيّ لرسم صورة المدينة الحقيقيّة التي جارت عليها الأزمان، هذا التاريخ الذي يصبح بمثابة مقوم للتشكّل الهوياتي واسترجاع المستلب، وهو نفسه (التاريخ) الذي سيظلّ شاهداً على أصالة القدس وأصالة من ينتمي إليها أباً عن جدّ، "ففي القدس من في القدس لكنّ لا أرى في القدس إلّا أنت".

### 1-واقع المدينة والاستلاب الهوياتي:

يقصد بالهوية في أبسط تعاريفها؛ ما يجعل من الشيء ذاته هو، ويفرّقه عن ذوات الآخرين، " فهي تعبّر عن تساوي وتمائل موضوع أو ظاهرة ما مع ذلتها، أو

## متخيل المدينة وهولوكوست<sup>1</sup> الهوية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي

تساوي موضوعات عديدة مع بعضها، فالموضوعان "أ" و "ب" يكونان متطابقين من حيث الهوية إذا كانت كل الصفات والعلاقات التي تميز "أ" مميزة أيضا للموضوع "ب" والعكس بالعكس<sup>2</sup>.

وعادة ما ينظر إلى الهوية على أنها مركب نفسي اجتماعي أساسه الإحساس بالانتماء إلى جماعة أو شعب ما، يصنع الالتقاء بين أفراده جملة خصائص وصفات ومشاعر ويتقاسمون التطلعات نفسها والأهداف الفكرية والحضارية الكبرى، وهذا المركب هو واحد من السمات الإنسانية التي تقف وراء شكل الجماعة، وتوطده أكثر المصلحة المادية المباشرة التي يفرضها الواقع، وهو مركب تراكمي الصفة، يتدخل التاريخ بمختلف أحداثه في التأثير فيه وترسيخه<sup>3</sup>.

واقع المدينة كما يحكيه الشاعر يمثل محرقة للكينونة والحضارة والتاريخ، هو واقع يجسد ما آلت إليه مدينة القدس من طمس لمعالم هويتها، فما هو الشاعر يصف لنا الأجواء في القدس قائلا:

في القدس، بائع خضرة من جورجيا برم بزوجته
يفكر في قضاء إجازة أو في طلاء البيت
في القدس، توراة وكهل جاء من منهناتن العليا
يُفَقِّهُ فتيّة البُولُونِ في أحكامها
في القدس شرطي من الأحباش يُغَلِقُ شَارِعاً في السوقِ،
رشاش على مستوطن لم يبلغ العشرين،
فُبَعَّةٌ تُحَيِّي حَائِطَ المَبَكِّي
وسياح من الإفرنج شُقِرَ لا يَرُونَ القدس إطلاقاً
تراهم يأخذون لبعضهم صوراً
مع امرأة تبغ الفجل في الساحات طول اليوم
في القدس دبّ الجندُ مُنتَعِلِينَ فوق الغيم
في القدس صلينا على الأسفلت

## وهيبة جراح

في القدس من في القدس إلا أنت<sup>4</sup>

بعين الواقع يستعرض لنا الشاعر واقع المدينة وما آلت إليه، مستخدما مقارنات ذكية، فيرينا تميم تركيبة مجتمعية عجيبة، غير متجانسة، لا تشترك إلا في المكان بغير وجه حق. فيها التجار الوافدون من جورجيا، تشغلهم أمور حياتية وتفاصيل يومية تكاد تكون محور تركيزهم. ترى الغرباء يحكمون المدينة، يغلقون الشوارع أو يفتحونها. وإذا نقلت النظر أكثر، فسترى المستوطنين منهم يحملون السلاح، حتى من هم دون السن القانوني في دولة تدعي احترام القانون. وترى أفواجا من السياح الذين قصدوا المدينة في قضاء إجازة، بلغت بهم السطحية أن أكثر ما يلفت انتباههم في هذه المدينة العظيمة بائعات الفجل اللواتي يقضين نهارهن في الساحات جلبا للقمّة يعدن بها لأطفالهن ساعة الليل، بعد أن يكون النوم قد سرقهم من جوعهم<sup>5</sup>.

المشهد موغل في الرمزية الميتولوجية، حيث يقوم الشاعر باستثمار مجموعة من المعطيات الدينية عبر توليف الحكاية بنكثيف المعنى المكتنز الذي تطفح به تلك الرمزية بما تملكه من قوة ساحرة كونها "نتاج جمعيّ قامت به جماعة ما على مدى فترات زمنية طويلة نسبيا"<sup>6</sup>.

الرمزية التوراتية في المشهد مقرونة بالفعل "لَقْن" تشير إلى الكيفية التي يتم بها ترسيخ تعاليم الدين اليهودي، وبالتالي التمهيد لسيطرة الآخر واضمحلال الهوية الذاتية/ الفلسطينية، حيث يشهد الواقع أنه وفي فترة ماضية كانت الدراسة في فلسطين خاضعة لمناهج إسرائيل وبرامجها التي كانت تلقن الطلبة أسفار العهد القديم باللغة العبرية<sup>7</sup>، وقد جذبت الشاعر عملية الاستعانة برمزية التوراة الكثير من الحشو والضجيج اللغوي، ومكنته من تمرير المعنى المقصود بأقصر السبل وأبلغها، ليرسم لنا بذلك لوحة تجسد كل معاني الطمس والإلغاء.

يواصل الشاعر سرد تفاصيل المدينة عبر رصد شواهد عن واقعها الكئيب الذي كان سببه محتلوها الذين تمادوا كثيرا في طغيانهم وهمجيتهم وهذا ما تؤكدته مقولة:

في القدس دبّ الجندُ مُنتعلين فوق الغيم

في القدس صَلينا على الأسفلت

متخيل المدينة وهولوكوست<sup>1</sup> الهوية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي التي يشير فيها إلى أسلوب التعالي الذي تنتهجه السياسة الاستعمارية في إقامة مستوطناتهم التي يختارون لها مواقع استراتيجية عالية على سفوح الجبال لضمان سيطرتهم، وهذا ما يثمن أكثر التراتبية التي تخضع لها الذات الفلسطينية في علاقتها بالآخر، إذ تنضوي المقولة تحت استعارة كبرى ذات طابع اتجاهاي مفادها:

المستعمر / الآخر - فوق

المستعمر / الذات الفلسطينية - تحت

بهذه الطريقة يكون الصوت الإمبراطوري قد شتت جغرافية الأمكنة، وعطل كل ذاكرتها وفرض نفسه، فالقدس لم تعد تلك المدينة التي عرفها الشاعر وترعرع فيها، لا شيء في تركيبها يوحي بأنها هي، فقد كان قانون الأعداء حاجزا بين الذات وهويتها، بين الدار وأهلها يقول:

عَنِ الدَّارِ قَانُونُ الأَعَادِي وَسُورِهَا	مَرَزْنَا عَلَى دَارِ الحَبِيبِ فَرَدْنَا
فَمَاذَا تَرَى فِي القُدْسِ حِينَ تَرُورُهَا	فَقُلْتُ لِنَفْسِي رُبَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ
إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ جَانِبِ الدَّرْبِ دُورُهَا	تَرَى كُلَّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ احْتِمَالُهُ
تُسَرُّ وَلَا كُلُّ الغِيَابِ يُضِيرُهَا	وَمَا كُلُّ نَفْسٍ حِينَ تَلْقَى حَبِيبَهَا
فَلَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَيْهَا سُورُهَا	فَإِنْ سَرَّهَا قَبْلَ الفِرَاقِ لِقَاؤُهُ
فَسَوْفَ تَرَاهَا العَيْنُ حَيْثُ تُدِيرُهَا	مَتَى تُبْصِرَ القُدْسَ العَتِيقَةَ مَرَّةً

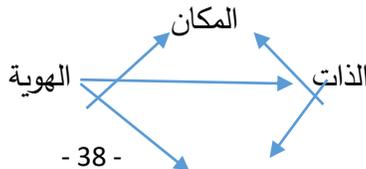
هكذا يتحول الفلسطيني في "محرقة العالمية إلى كائن بلا تاريخ ولا جغرافية ولا هوية"<sup>8</sup>، وهذا ما نقل المكان من طابع المدينة إلى طابع اللامدينة التي دخلت في كيمياء عرقية وبشرية وثقافية مغايرة تماما للأصل الذي عُرفت به.

وبحنكة سارد وبراعة فنان، يخترع الشاعر حيلة خطابية أخرى يؤكد من خلالها إحساسه وما ذهب إليه في المشهد الأول، لكي يرسم واقع الذات المهمشة والمهشمة في علاقتها بصورة المدينة الكئيبة والمحتلة، فيقول:

## وهيبة جراح

وَتَلَفَّتِ التَّارِيخُ لِي مُتَبَسِّمًا
أَظُنُّتِ حَقًّا أَنَّ عَيْنَكَ سَوْفَ تَخْطِئُهُمْ، وَتَبْصُرُ غَيْرَهُمْ
هَا هُمْ أَمَامَكَ، مَتْنٌ نَصِّ أَنْتِ حَاشِيَةٌ عَلَيْهِ وَهَامِشٌ
أَحْسَبْتُ أَنَّ زِيَارَةَ سَتْرِيخٍ عَنْ وَجْهِ الْمَدِينَةِ يَأْبِيئِي
حِجَابَ وَقِيعِهَا السَّمِيكَ لَكِي تَرَى فِيهَا هَوَاكَ
فِي الْقُدْسِ كُلِّ فَتَى سِوَاكَ
وَهِيَ الْغَزَالَةُ فِي الْمَدَى، حَكَمَ الزَّمَانُ بَيْنِيهَا
مَا زِلْتُ تَرْكُضُ خَلْفَهَا مُذْ وَدَّعْتَكِ بَعِينَهَا
فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ سَاعَةً إِنِّي أُرَاكَ وَهَنْتُ
فِي الْقُدْسِ مِنْ فِي الْقُدْسِ إِلَّا أَنْتِ

عبر استعارة تجعل من التاريخ كائنا حيًا يتكلم ويبتسم، يمارس الشاعر حيلته الفنيّة التي من خلالها يؤكد على موقع الذات من واقع المدينة المحتلة، هذه الذات التي يبدو أنه قد لحقها من الإقصاء والنّبذ ما لحق المدينة بالضبط، وهذا ما يُنمّن العلاقة الوطيدة التي تتسجها الذات بالأمكنة وبأقنوم الهوية، هذا الأخير الذي لا يمكن أن يتحدّد لولا تلاحم الذات بالمكان، فالهويّة والوطن -قبل كلّ شيء- مكان، أو هو موقع مبرّر، وظرف مقدّر، ذلك أنّه " يسكن الإنسان وهو في ضمير الوجود قبل أن يصبح الإنسان من ساكنيه، أو من أهله المنتمين إليه، فكلّ إنسان يولد له موقع في شجرة أنساب عائلته بالوطن، فقد يولد البعض في غير أوطانهم، لكنّ القاعدة في الحياة أنّ أرض الوطن تمثّل أمّ الإنسان التي تحمله من المهد حتى يضمّه اللحد، بعد أمّه التي تحمله من نفخة الروح إلى أن يقلّه المهد"<sup>9</sup>.



## متخيل المدينة وهولوكوست<sup>1</sup> الهوية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي

### الأخر

حيث يذهب "تزييتان تودوروف" إلى اعتبار الآخر المحض الوجودي للذات " فالصورة التي أراها في المرآة هي بالضرورة غير مكتملة، ومع ذلك وبمعنى من المعاني، فإنها توَفّر لنا نمطا بدئيا من إدراك الذات؛ ولكن شخصا واحدا يحدّق فيّا يمنحني الشعور بأنني أشكل وحدة كلية"<sup>10</sup>، وبالتالي لا تتحدّد الذات إلّا في ضوء آخر مغاير لها: " ودال عليها في الآن نفسه ويصعب بالتالي الاستدلال على الذات من دون معرفة حقيقية وشاملة بالآخر"<sup>11</sup>، في ضوء الآخر المتوحّش المهيمن والمسيطر، تتشكّل الذات المحبطة التي أثقل كاهلها التهميش، ليتأكّد لها في النهاية أنها لم تكن سوى حاشية لمركز مغشوش ومتطّّل.

تتكرر اللازمة الشعرية التي مفادها:

### في القدس من في القدس إلا أنث

يرتفع سقف الإحساس بالتهميش والأوجود بتكرار هذه اللازمة التي كان الشاعر يردّها نهاية كل مقطع من المشهد الأول، ممّا يجسّد الهولوكوست في أقوى صورته على الإطلاق، فليس هناك أسوأ من أن تعي الذات هذه المحرقة، وتتأمل بنفسها اضمحلال هويتها.

من خلال هذه اللازمة يعلن الشاعر موت التاريخ وموت الإنسان في لحظة يخيم عليها السكون، ممّا يجعل من الكائن كائننا لا تاريخيا لا يرتبط بماض ولا تاريخ، وإنما هو " لحظة ممتدّة في ميكانيكيّة تغفل المكونات الإنسانية"<sup>12</sup>.

### 2- المدينة المتخيّلة والتشكّل الهوياتي:

في محاولة من الذات فكّ الحصار عن ذاتها وإبطال ميكانيزمات الهيمنة، وتفكيك السرد المتسيّدة التي ابتكرها السارد الآخر، يتّجه الشاعر في مرحلة ثانية إلى تحرير صوت التابع المقهور وتخليصه من عملية الخنق الكولونيالي، وذلك من خلال تصحيح الصورة التي وسمت واقع المدينة، عبر تصيّد اللحظات التاريخية الحاسمة في تاريخ المدينة العتيق، وإعادة تشكيلها بصورة صادقة وموضوعيّة، إنّه ينبش في

## وهيبة جراح

خبايا التاريخ ويستفز مختلف الطاقات الهوياتية التي من شأنها أن تعيد للقدس صورتها التي عرفتها منذ عهود مضت.

تعتبر عملية استلهاام التاريخ والعودة إليه في الكتابة الإبداعية من الظواهر الأساسية التي أصبحت تسترعي اهتمام الكتاب والمبدعين، حيث أصبحت ضرورة لا مناص منها، إلى درجة حقّ لنا التساؤل فيها: ما سرّ هذه العودة؟ وأمام خطية الحدث التاريخي؛ كيف تتم صناعة المكوّن التخيلي؟

يبدأ الشاعر في صناعة صورة أخرى للمدينة عبر تلميعها تاريخيا، ليشرع المكوّن التخيلي في الاشتغال مؤكّدا على البعد الهوياتي الصارخ لكلّ شبر من تلك البقعة الطاهرة، ها هو يخاطب كاتب التاريخ قائلا:

يا كاتبَ التاريخ مهلاً،
فالمدينةُ دهرها دهرانِ
دهر أجنبي مطمئنٌ لا يغيّرُ خطوهَ وكأنّه يمشي خلالَ النومِ
وهناك دهرٌ، كامنٌ متلثمٌ يمشي بلا صوتٍ حذارِ القومِ

أما الدّهر الأول فهو الذي حكى عنه الشاعر حينما رصد لنا واقع المدينة، بينما ينكتب الدهر الثاني بكلّ صمت ممثلاً الوجه الحقيقي لتلك المدينة، والذي اضطرّ الشاعر في حياكته إلى الاستناد على عديد الخلفيات الحضارية والتاريخية الفعلية التي غيّبتها الأزمان؛ يقول:

والقدس تعرف نفسها،
إسألُ هناك الخلقَ يذُلكَ الجميعُ
فكلُّ شيءٍ في المدينةِ
ذو لسانٍ، حينَ تسألُهُ، يُبينُ

هو واقع مضاد للواقع المتعفن الأول، يلجأ الشاعر في رصد تفاصيله إلى الذاكرة التاريخية الجمعية، فإذا كان واقع المدينة في المشهد الأول من القصيدة قد استند إلى عملية التصوير (تصوير تفاصيل المدينة كما تبدو لأيّ شاهد عيان)، فإنّ بناء صورة

متخيل المدينة وهولوكوست<sup>1</sup> الهوية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي  
 أصلية لمدينة القدس العتيقة في هذه المرحلة، ستعتمد استنطاق المكوّن التاريخي  
 الذي من خلاله يتمّ التأكيد على الهوية المفقودة، يقول:

في القدس أبنيةً حجارُها اقتباساتٌ من الإنجيلِ والقرآنِ
في القدس تعريفُ الجمالِ مُثَمَّنُ الأضلاعِ أزرقُ،
فَوْقَهُ، يا دَامَ عِزُّكَ، فُتْبَةٌ ذَهَبِيَّةٌ،
تبدو برأيي، مثل مرآةٍ محدبةٍ ترى وجه السماءِ مُلَخَّصاً فيها
تُدَلِّها وتُذَنِّبها
تُوَزِّعُها كأَكْيَاسِ المَعُونَةِ في الحِصَارِ لمَسْتَحِقِّها
إذا ما أُمَّةٌ من بعدِ خُطْبَةِ جُمُعَةٍ مَدَّتْ بِأَيْدِها
وفي القدس السماءُ تَفَرَّقَتْ في الناسِ تحمينا ونحميها
ونحملُها على أكتافنا حَمَلاً
إذا جَارَتْ على أقمارِها الأزمانُ

إلى أن يقول:

في القدس رائحةٌ تُلَخِّصُ بابلًا والهندَ في دكانِ عطارِ بخانِ الزيتِ
واللهِ رائحةٌ لها لغةٌ سَتَفْهَمُها إذا أضعَيْتِ
وتقولُ لي إذ يطلقونَ قنابلَ الغازِ المسيلِ للدموعِ عَلَيَّ: "لا تحفلِ بهم"
وتفوحُ من بعدِ انحسارِ الغازِ، وَهِيَ تقولُ لي: "أرأيتُ!"

تتجلى قدرة الشاعر ليس فقط في مضمون ما يقول، ولكن سردا لتاريخ طال  
 عشرات السنين لا يكلفه أكثر من سطرين شعريين يعدّ فعلا إبداعا لا شك فيه. وكأن  
 تميم يريد أن يقول لنا: "أسمعت قصة الظاهر بيبرس؟ ذلك المملوك في سوق  
 النخاسة، والذي صار بعد حين بطلا كسر المغول وجاوز السلاطين؟ عظمة لا  
 ينساها التاريخ، لقد بدأ من القدس"<sup>13</sup>. وكان له رسالة خفية يدسها بين السطور بذكاء

## وهيبة جراح

الساحر، مفادها أن لا تستهينوا بضعف ظاهري لأصحاب الحق في القدس، فمن غلب المغول لن يستعصي عليه استرداد القدس من محتليه.

من خلال هذا المشهد يمكننا أن ندرك تلك العلاقة الوطيدة بين الهوية والثقافة من جهة، والهوية والتاريخ لأن هويات الأمم تعدّ هويات تاريخية، تكتسب خصائصها عبر متغيرات التاريخ، لذلك نراها تركز إلى التراث كتراكمات ثقافية تاريخية: " إنّ البناء الثقافي والهوية التي يؤسس لها تعتمد رموزا معينة وخطيرة: اسم، أصل، آثار، آداب، خبرات، عادات، ويحاول تصويرها كمنظومة متماسكة"<sup>14</sup>.

تشكّل عملية التتقيب في تاريخ المدينة المحتلّة نوعا من المقاومة الرمزية، ما يجعل هذا المشهد كخطاب للذات في الردّ على الآخر، وهو ما يتجسّد في جميع ما تحملها المدينة في طياتها من مقومات تضمن لها هويتها الدفينة، ليكون تاريخ المدينة الفعليّ المظمور بمثابة الصوت الطباقيّ الذي من خلاله قدّم الشاعر محاولة أخيرة للتشبّث بالحياة، ليتأكد لنا أنّ: " الهوية هي الأنا كضمير فردي وجماعي، وهي الذاكرة بجيناتها الوراثية فكرا واعتقادا ومنطق وجود"<sup>15</sup>، وبهذا المنطق تؤكد لنا القصيدة استحالة موت الهويات وزوال المرويّات الكبرى، لأنّ الكينونة مقترنة بالهوية، والهوية مقترنة بهذه المرويّات المضمرة في أعماق الذات.

لا يمكن للأنا أن يعرف إلّا في العلاقة مع الآخر المختلف، إنّي أنا ولست سواي، وإنّ الآخر ليس هو أنا، إنّ الذات هنا تعي وجودها في حضور الآخر أو غيابها، فوعي الذات متوقّف على وعي ووجود الآخر، والأنا لا يتحدّد إلّا بوجود الآخر، سواء كان فردا أم جماعة<sup>16</sup>، بنفس المتصوّر تقريبا تتشكّل هوية الفلسطيني كما يحكيها الشاعر في هذه الأسطر الشعرية التي يصوّر فيها ما كانت عليه المدينة قديما، فقد كانت ملتقى الحضارات والأديان ومختلف الثقافات، هذه الأخيرة التي لم تستطع طمس هويتها بقدر ما عملت على الحفاظ عليها وتجليتها، يقول الشاعر:

في القدس تنتظم القبور، كأنهنّ سطورُ تاريخِ المدينة والكتابُ ترايها

الكل مرّوا من هنا

فالقُدسُ تقبلُ من أتاها كافرًا أو مؤمنا

## متخيل المدينة وهولوكوست<sup>1</sup> الهوية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي

أمرر بها واقراً شواهدا بكل لغات أهل الأرض
فيها الزنج والإفرنج والقفجاق والصقلاب والبشناق
والتاتار والأتراك، أهل الله والهلاك، والفقراء والملاك، والفجار والنسك،
فيها كل من وطئ الثرى
كانوا الهوامش في الكتاب فأصبحوا نص المدينة قبلنا
أتراها ضاقت علينا وحدنا
يا كاتب التاريخ ماذا جد فاستثنتنا
يا شيخ فلتعد الكتاب والقراءة مرة أخرى، أراك لحنث

يحملنا الشاعر على جناحيه ليخلق بنا في سماء القدس، لنقرأ بعينه تاريخها المسطور بقبور الأمم الغابرة، التي مرت على المدينة من كل أنحاء الدنيا. فمن من أهل الأرض لم يمر هنا، على اختلاف الأصول والملل؟ وفي استقهام تهكمي وراءه ما وراءه من حزن مستتر، نراه يتساءل هل استثناهم كاتب التاريخ أو حتى نسي وجودهم؟ وفي نبرة يشوبها حزن المظلوم، ولوعة المحروم، يطلب الشاعر من التاريخ أن يعيد النظر مرة أخرى عساه يجد لهم مكانا في كتابه.

فرق شاسع بين ما كتبه التاريخ وما هو سائد في واقع المدينة، تلك الهويات المختلفة كانت كلها هامشية أمام مركزية الهوية الفلسطينية، لكن الشيء الذي يحسب لهذه التركيبية هو كونها قد ساهمت في تجلية الهوية الفلسطينية، فقد ساهمت في خلق وعي ذاتي لدى الفرد الفلسطيني وذلك من منطلق أن " الذات حتى تعي ذاتها لأبد من وجود الآخر المتمايز عنها، حتى يتم الإدراك والوعي"<sup>17</sup>، وهذا ما جعل الشاعر يخاطب ويطالب بتصحيح ذلك الواقع المتعفن، وما مخاطبة "كاتب التاريخ/الشيخ" إلا كناية عن الأصالة التي تتمتع بها الذات الفلسطينية أمام هذا المزيج العرقي والهوياتي وفي نفس الوقت هي دليل وعي بموقع الذات من خارطة وجودها التاريخي

المدينة المتخيلة كما رسم الشاعر تفاصيلها بالاستناد إلى المكون التاريخي، تتجه إلى التأسيس لهوية مركبة أساسها الاستشراق، استشراق مستقبل أمة بكاملها، وقد

## وهيبة جراح

تجلّت هذه الهوية في الرّفص القاطع الذي أبدته الذات للتبعيّة والهيمنة والمسح الهوياتي، والاستلاب الثقافيّ والتمزّق الحضاريّ، "قالأمم كمجموعات متخيّلة والهويات ذوات متخيّلة، هي ما نظن أننا نحيا وما نريد أن نكون"<sup>18</sup>، لهذا ختم الشاعر بمقطع غاية في الأهميّة، لخص فيه موقع الذات والمدينة من كلّ الشّئات الذي كانت تعانيه، ليستشرف لها موقعا في المركز أساسه الهيئة التي ينبغي أن تكون عليها الذات، فيقول:

العين تُعْمَضُ، ثُمَّ تَنْظُرُ، سَائِقُ السَّيَارَةِ الصَّفْرَاءِ، مَا لَ بِنَا شَمَالاً نَائِيًا عَنِ بَابِهَا
والقدس صارت خلفنا
والعينُ تبصرُها بمرآةِ اليمينِ،
تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا فِي الشَّمْسِ، مِنْ قَبْلِ الْغِيَابِ
إِذْ فَاجَأْتَنِي بِسَمَةٍ لَمْ أَدْرِ كَيْفَ تَسَلَّلَتْ لِلْوَجْهِ
قالت لي وقد أَمَعَتْ ما أَمَعَتْ
يا أيها الباكي وراءِ السورِ، أحمقُ أنتُ؟
أَجِئْتُ؟
لا تبكِ عينُكَ أيها المنسيُّ من متنِ الكتابِ
لا تبكِ عينُكَ أيها العربيُّ واعلمْ أنَّه
في القدسِ من في القدسِ لكنْ
لا أرى في القدسِ إلاَّ أنتُ

خاتمة:



## وهيبة جراح

الكلي إلى ما يقرب الأحد عشر مليون إنسان. جرت عمليات القتل في جميع أنحاء ألمانيا النازية والمناطق المحتلة من قبل ألمانيا في أوروبا. استهدف النظام النازي والمتواطئين معه اليهود وجرى قتلهم بطريقة منهجية في خضم الحرب العالمية الثانية خلال الفترة الممتدة من عام 1941 حتى 1945، في إحدى أكبر الإبادات الجماعية في التاريخ البشري، وكان اضطهاد وقتل اليهود جزءاً من مجموعة أوسع نطاقاً لأعمال الاضطهاد والقتل الممنهجة التي نفذها نظام هتلر والمتعاونون معه بحق العديد من المجموعات العرقية والسياسية المختلفة وتحديداً الإبادة الجماعية لشعب الغجر الروم والمعاقين والمعارضين السياسيين وغيرهم الكثير .

-م, روزينثال وب.بودين: الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطباعة، لبنان، 1981، ط4، ص564. 2

-مجلة الاختلاف، وحيد بن بوعزيز: حوار مع الدكتور عبد الله إبراهيم، ع2، سبتمبر 2003، ص62. 3

- WWW ,adab.com تميم البرغوثي، في القدس، الموسوعة العالمية للشعر العربي، 4 -مram أمان الله، قراءة في قصيدة "في القدس لتميم البرغوثي، مجلة عود الند، ع16، سبتمبر 2007. 5

-www.middle-east.online.com .2009/08/07 ظافر مقدادي، الرمزية

الميتولوجية في شعر محمود درويش، 6

7-أسفار العهد القديم:

"التوراة" : اسم عبراني ، وقد تكلف النحاة في اشتقاقها وفي وزنها وذلك بعد تقرير النحاة أن الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاق ، وأنها لا توزن ، يعنون اشتقاقاً عربياً. فأما اشتقاق : التوراة ، ففيه قولان : أحدهما : إنها من : وري الزند يري ، إذا قدح وظهر منه النار ، فكأن التوراة ضياء من الظلال ، وهذا الاشتقاق قول الجمهور . وذهب أبو فيد مؤرج السدوسي إلى أنها مشتقة من : وري ، كما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً وري بغيره ، لأن أكثر التوراة تلويح. وأما وزنها فذهب الخليل ، وسبويه ، وسائر البصريين إلى أن وزنها : فوعلة ، والتاء بدل من الواو ، كما أبدلت في : تولج ، فالأصل فيها ووزنه : وولج ، لأنهما من وري ، ومن ولج.

## متخيل المدينة وهولوكوست<sup>1</sup> الهوية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي

فهي : كحوقلة ، وذهب الفراء إلى أن وزنها : تفعلة ، كتوصية.  
ثم أبدلت كسرة العين فتحة والياء ألفا.  
كما قالوا في : ناصية ، وجارية : ناصاه وجاراه.  
وقال الزجاج : كأنه يجيز في توصية توصاه ، وهذا غير مسموع.  
وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها : تفعلة ، بفتح العين من : وريت بك زنادي ، وتجاوز  
إمالة التوراة.

السفر الأول: وهو سفر التكوين أو الخلق، وقد ذكر فيه خلق العالم، وقصة آدم وحواء  
وأولادهما، ونوح والطوفان وتبلبل الألسن، ثم قصة إبراهيم وابنه اسحاق وابنه يعقوب وعيسو،  
ثم قصة يوسف.

السفر الثاني: ويسمى سفر الخروج- أي خروج اليهود من مصر - وفيه قصة موسى من  
والدته وبعثته، وفرعون وخروج بني إسرائيل من مصر، وصعود موسى الجبل وإيتاء الله له  
الألواح.

السفر الثالث: سفر اللاويين-أي الأحبار- وفيه حكم القربان والطهارة ومايجوز أكله، وغير  
ذلك من الفرائض والحدود.

السفر الرابع: سفر العدد، بعضه في الشرائع، وبعضه في أخبار موسى وبني إسرائيل في  
التيه وقصة البقرة.

السفر الخامس: سفر التثنية - أي إعادة الناموس. عن ويكبيديا.  
:

-سليمة مسعودي وآخرون، العين الثالثة تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، دار  
ميم للنشر ، ط1، الجزائر، 2018، ص87.

-ماهر الجويني وآخرون، السؤال عن الهوية في التأسيس والنقد والمستقبل، منشورات  
الاختلاف، ط1، الجزائر، 2016، ص304. 9

-تترفيتان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر، لبنان، ط2، 1996، ص107.

- جون بول سارتر، الوجود والعدم بحث في الأنطولوجيا الظاهرانية، تر: عبد الرحمن بدوي،  
دار الآداب، لبنان، 1966، ط1، ص 11 153.

-سليمة مسعودي وآخرون، العين الثالثة، ص88. 12

## وهيبة جراح

---

- مرام أمان الله، قراءة في قصيدة "في القدس لتميم البرغوثي"، مجلة عود الند. 13  
- عبد الله حمودي، الحداثة والهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1،  
2015، ص 200. 14
- مطاع الصفدي، فلسفة الحداثة السياسيّة نقد الاستراتيجيّة الحضاريّة، مركز الإنماء القومي،  
بيروت، 2002، ص 253. 15
- عبد الغني بوالسكك وآخرون، السؤال عن الهوية، في التأسيس والنقد والمستقبل،  
ص 68. 16
- م ن، ص ن. 17
- 18- صموئيل هينتينجتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، تر حسام الدين  
خضور، دار الرأي، ط1، دمشق، 2005، ص 18، ص 44.